الحكم بن عبدل الأسدي بين الفكاهة والتهكم

الدُّكتورة سجا جاسم محمد
قِسمُ اللُغَةِ العربيَّةِ/كُلِّيَّةُ الآدابِ/جامِعَةُ بَغداد

المقدمة

الحمد الله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى أصحابه الغر الميامي. الحكم بن عبدل الأسدي شخصية أدبية ظهرت في نهاية العصر الأموي تميزت بأسلوب جمع بين الفكاهة والتهكم ، لذا حاولنا في بحثنا هذا أن نسلط الضوء على شخصية هذا الشاعر والتعريف به ، وبيان مميزات أسلوب الفكاهي، فجاء البحث يحمل عنوان (الحكم بن عبدل الاسدي بين الفكاهة والتهكم).

التمهيد

إن الضحك أمر مهم بالنسبة للإنسان ، تنزع إليه النفس الإنسانية فتجد فيه طمأنينة وأمنا وراحة، وتنشرح الصدور . والضحك طبيعية بشرية تلقي على الحياة ستارا من اللاواقعية فترفع عن الإنسان هموم حياته وتدفعه للتفاؤل وللنظر بفرح إلى المستقبل . وهو كذلك "**ظاهرة جماعية معدية ، كالتثاؤب والحكاك ، ودليل ذلك أننا قد نضحك قبل أن نعرف سبب ضحك الآخرين** "[١].

ولا يخلو الأدب في أي عصر من العصور من الضحك والفكاهة باستثناء العصر الجاهلي الذي لم يصل إلينا منه أدب ينماز بالفكاهة والضحك ، بسبب ظروف حياة البادية القاسية والبعيدة عن الترف والنعيم . لكن في عصر صدر الإسلام بدأت النوادر تظهر في الأدب ولاسيما مع بداية حياة الاستقرار التي عرفها العرب في المدن . إذْ ظهر في ذلك العصر أشخاص مرحون يزرعون الضحك حولهم . أما في العصر الأموي ذلك العصر الذي انماز بحياة سياسية حافلة بالأحداث التاريخية التي تزخر بها المصادر التاريخية المتعددة، فضلا عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، وأذكر ذلك لكون الظروف السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية في أي عصر أدبي تكون وراء ظهور وبروز شخصية أدبية معينة وبروزها، تمتاز بلون أدبي معين يغلب عليها ، ويكون أثرا من آثارها . فقد نمت الفكاهة والضحك في حضن النقائض التي تعتمد على الهجاء المتبادل . فتناثرت النوادر في الأشعار وفي النثر وظهرت العديد من الشخصيات اللطيفة . وشخصيتنا في هذا البحث أحدى تلك الشخصيات اللطيفة ، وهو الشاعر الحكم بن عبدل[٢] ،

وهو الحكم بن عبدل بن جبلة بن عمرو بن ثعلبة ابن عقال بن بلال بن سعد بن حبال بن نصر غاضرة بن مالك بن ثعلبة بن داودن بن أسد بن خزيمة ، شاعرُ مجيدُ مُقدم في طبقته ، هجاء خبيث اللسان ، من شعراء الدولة الأموية وكان أعرج أحدب . وهو من شعراء الكوفة دفعته الحياة الاجتماعية والاقتصادية التي انمازت بها بيئة الكوفة إلى إتباع أسلوب الاستكانة والاستجداء بسبب المرارة التي كان يحس بها إزاء تلك الحياة التي تميزت بوجود الفوارق الطبقية والاقتصادية بين أبناء المجتمع في الكوفة . فشاعرنا هذا عُد أقوى من مثل اتجاه الاستكانة والاستجداء من بين شعراء الكوفة[٣] . ولكن ما الأسلوب الذي انماز به في تمثيله لهذا الاتجاه ؟ تميز أسلوبه بالفكاهة والتهكم . فما الفكاهة ؟ وما التهكم؟ وكيف تعامل معها في النص الشعري ؟

جاء في معجم مقاييس اللغة ، قوله:" **الرجل الفكه الطيب النفس** "[٤]، ويقال أفكههم بملح الكلام أي أطرافهم ، والاسم الفكيه والفكاهة[٥] . ووردت كلمة الفكاهة في قوله تعالى :"**فاكهين بما أتاهم ووقاهم ربَّهمُ عذاب الجحيم** "[٦]. ويأتي الهزْل والْهزَالة بمعنى الفكاهة[٧] . أما التهكم فهو الاستخفاف والاستهزاء والعبث[٨]، والتهكم :" **لونٌ هزلي أدبي يقوم على النقض المضحك أو التجريح وهي طريقة تعبيرية متطورة استعملها الأدباء لنقد الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية السائدة في تلك العصور ، والنيل منها بأسلوب يترفع عن الشتيمة والسباب والاقذاع والفحش ، لان الحديث الساخر التهكمي ينبغي أن لا يكون محتدا ثائرا وألا يكون سيء اللفظ بذيئاً** "[٩] ، فالتهكم إذن أسمي أنواع الفكاهة في الكشف عن الأخطاء بطريقة غير مباشرة وهي " **أداة في أيدي الفلاسفة والأدباء ، ويستعملها الساسة للنكاية من خصومهم** "[١٠] . وتمتاز الفكاهة بأنها مثيرة للضحك غالبا ما ، فهي " **صفة في العمل أو الكلام أو الموقف أو في الكتابة التي تثير الضحك لدى النظارة أو القراء** "[١١]، وينسب أرسطو الفكاهة إلى عيب أو تشوية في أحد ما لا يصل إلى مرتبة الإيذاء أو الإيلام [١٢].

وتختلف الفكاهة عن السخرية ، في إن السخرية تميل بصاحبها إلى الجد والعبوس[١٣]، أما الفكاهة فتميل بصاحبها إلى الضحك (فهي تقترن بالضحك) ، وهذا أدى إلى أن يتوسع المرء في تفريع الفكاهة وإيجاد أنواع للضحك توازي كل نوع من الأنواع ، وقد أشار بعض الدارسين[١٤] إلى هذه الأنواع ، إذ انه يخص كل نوع من أنواع الفكاهة بلون خاص من الضحك ، وتقوم الفكاهة على العواطف ، بينما تقوم السخرية على العقل ، لذا فإن الشعر الفكاهي ذو وظيفة بريئة ، على

الرغم من اتفاقهما في النتيجة والأثر وهي الضحك والنقد ، إلا أن الفكاهة تضحك من ، أما السخرية فإنها تضحك على[١٥]، ويقترن بالفكاهة مصطلحات عديدة منها: الدعابة ، والمرح ، والمزاح ، واللذع ، والمفارقة وغيرها . وأيًّا كان المصطلح فإن الدافع والنتيجة هما اللذان يحدان المفهوم الذي ينطوي تحت جناح الأدب الفكاهي .

الدراسة

ونرجع إلى الشاعر الحكم بن عبدل[١٦]بن جبلة بن عمرو بن ثعلبة بن عقال، ينتهي نسبة عند خزيمة بن مدركة الأسدي الغاضري الكوفي، لم يتخذ ابن عبدل لقبا ليعرف به ، وإنما عرف بكنيته : ابن عبدل، شاعر مجيد في القول، هجاء سليط اللسان، من شعراء بني مروان، عرف بأسلوب الفكاهة والتهكم في شعره، وأول أداة استعملها الشاعر في فكاهته أنه كان أعرج لا تُفارقه العصا، فترك الوقوف بأبواب الملوك ، إذ كان يكتب على عصاه حاجته ويبعث بها مع رُسُله، فلا يُحبَسُ له رسولٌ ولا تُؤخَّر له حاجةٌ. وفي ذلك قال[١٧] يحيى بن نوفل[١٨]:

عَصا حَكَمٍ في الدار أوّل داخلٍ ونحنُ على الأبواب نُقْصَى ونُحَجبُ
وكانت عَصا موسى لِفِرْعونَ آيةً وهذي لَعمرُ الله أدهى وأعجبُ
تُطاعُ فلا تُعصى ويُحذَرُ سُخطُها ويُرْغَبُ في المرْضاة منها وتُرْهَبُ

فشاعت هذه الأبيات في الكوفة وضحك الناس منها ، حتى أن الشاعر قال ليحيى :" **... ما أربتَ من عصاي حتى صَيَّرتها ضُحْكةً ؟**"[١٩] . حتى لنرى الشاعر يسخر بأسلوبه الفكاهي من عصاه ، إذ كان الشاعر صديق أعمى أسمه يحيى (أبو عُلَيَّة) ، فخرجا ليلة من منزلهما إلى منزل بعض إخوانهما ، وكان الحكمُ يُحمَلُ وأبو عُلَيَّة يُقاد ، فلقيهما صاحبُ العَسَ في الكوفة فأخذهما فحبسهما ، فنظر الحكم إلى عصا أبي عُلَيَّة موضوعة إلى جانب عصاه ، فضحك وقال[٢٠] :

حَبسي وحَبسُ أبي عُلَيَّة من أَعاجيب الزمانِ
أَعمى يُقادُ ومقْعَدٌ لا الرِّجْلُ منه ولا اليَدانَ
هذا بلا بَصَرٍ هنا ك وبي يَخُبُّ الحاملانِ
يامن رأى ضب الفلا ة قرين حوت في مكان
طرفي وطرف أبيُ عُلَيَّة دهرنا متوافقان
من يفتخر بجواده فجيادنا عكازتان
طرفانِ لا عَلَفاهُما يُشرى ولا يتَصاوَلانِ
هبني وإياه الحريق أكان يسطع بالدخان

فالشاعر يسخر من حاله بأسلوب فكاهي ، إذ يرى أنه وصديقه من عجايب الزمان، فهو مقعدٌ لا رجل ولا يدان يُحمل ، وصديقه أعمى يقوده ، وعُكازتهما تمثلان جوادهما فهو يتوكأ عليها عند المشي ، ولكنهُما ليستا كباقي الحيوانات التي يعلفهما صاحبهما ، كما انهما لا ينزلان إلى سوح القتال . فلا يشرى له علفُ ولا يصول فهو معاق ، جامد لا حركة لهُ . ومما يلاحظ إن الشاعر قد رسم صورة الفكاهة المتقدمة معتمدا أسلوب الوصف المباشر ، فضلا عن أسلوب التشبيه . وفي موضع آخر يقول[٢١]

ففي حالَتْينا عِبرةٌ وتَفَكُّرٌ وأعجبُ شيءٍ حَبسُ أعمى ومُقْعدِ
كِلانا إذا العُكَّازُ فارقَ كَفَّهُ يُنيخ صريعاً أو على الوجهِ يَسجُدِ

فالشاعر رسم صورة فكاهية مضحكة لحالته هو وصديقه ، فالعكاز لا يفارقه إذ لو فارقه لسقط صريعا ، أو سقط على وجهه كأنه ساجداً . ونراه في أبيات أخرى يرسم صورة فكاهيه وهو يتهكم ويستهزئ من موقف ما، إذ يقال أنه وَلِيَ الشَّرْطةَ بالكوفة رجلُ أعرجُ ، ثم وليَ الإمارة آخرُ أعرجُ، وقد خرج ابنُ عَبْدَل وكان أعرج ، فإذا بسائل أعرجَ تعَرَّض للأمير يسأله ، فقال الشاعر للسائل متهكماً ساخراً قائلاً[٢٢]:

ألقِ العصا ودَع التخامُعَ والتمِسْ عملاً فهذي دَوْلةُ العرجْانِ
لأميرنا وأميرِ شُرْطتِنا مَعاً لِكلَيْهما يا قومنا رِجلانِ
فإذا يكونُ أميُرنا ووزيرنُا وأنا فإنَّ الرابعَ الشيطانِ

فهو سخر وتهكم من هذه الدولة التي كان شرطيها وأميرها أعرجيين، متخذا ذلك وسيلة تُضحك منه الناس ، ونتيجته بذلك مضمونة ، فقد سمع الأمير هذه الأبيات ، فبعث له بمئتي درهم وسأله أن يكُف عنه[٢٣]. ويقال إن الحكم بن عبدل أتى محمدا بن حسان بن سعد التَّميميَ ، وكان على خراج الكوفة فسأله في رجل من العرب أن يضع عنه ثلاثين درهما من خراجه ؛فقال : أماتني الله إن كنتُ أقدر أن أضع من خراج أمير المؤمنين شيئاً ؛ فانصرف الشاعر ويقول[٢٤] :

رأيتُ محمداً شَرِهاً ظَلوماً وكنتُ أراهُ ذا وُرَعٍ وقَصدِ
يقولُ أماتني رّبي خِداعاً أماتَ اللهُ حَسَّانَ بن سَعدِ
فلولا كسبه لوجدت فسلا لئيم الكسب شأنك شأن عبد
نَحْوت محمدا ودُخانُ فيه كَريح الجعرِ فوق عطين جلد
ركبت إليه في رجل أتاني كريم يطلب المعروف عندي
فقلت له ولم أعجل عليه وذلك بعد تفريظي وحمدي
فقلت له وبعض القول نصح ومنه ما أسر له وأبدي

تــوق دراهــم البكــري أنــي أخــاف عليــك عاقبــة التعــدي
فــأعرض مُكَمحــا عنــي كــأني أكلــم صــخره فــي رأس صَــمْد
....
وقــد أذنيــت فــاه إلــي حتــى قتلــت بــذاك نفســي غيــر عمــد
يــذقن حــلاوة ويخفــن موتــا زعافــا أن هممــن لــه بــورد
فلمــا فــاح فــوه علــي فوحــا بمثــل غثيثــة الــدبر المُغِــدّ
فقلــت لــه تــنح بفيــك عنــي فمــا هــذا بــريح قتــار رنــد
ومــا هــذا بــريح طــلا ولكــن يفــوح خــ ... منــة غيــر ســرد
...
نكَهْــتَ علــيّ نكْهــةَ أَخْــدرِيّ شّــتيمٍ أعصَــلِ الأنيــاب وَرْدِ
فمــا يــدنو إلــىّ فَمِــهِ ذُبــابُ ولــو طُلِيَــت مَشــافرُه بقَنــدِ
فــإن أهــديتَ لــي مــن فيــك حَتفــاً فــإني كالــذي أهــديتَ مُهــدي

ففكاهــة الشــاعر فــي هــذه الأبيــات قامــت علــى الــتهكم والهجــاء ولاســما أن الهجــاء يعــد " **أصــل الأنــواع الأدبيــة الفكاهــة** "[٢٥]. فالشــاعر اســتطاع عبــر أســلوبه الفكــاهي الســاخر أن يصــف المهجــو بــاللم والبخــل ويــدعو عليــه بــالموت ، ولــم يكتــف بــذلك بــل نــراه يرســم صــورة مضــحكة للمهجــو حــين يصــف راحتــه بالنتنــة ، مشــبها إيــاه بالأســد العــابس ذي الأنيــاب المعوجــة ذات اللــون الأحمــر المصــفر دلالــة عــن الحقــد لــدى المهجــو ، حتــى أن الــذباب لا يقتــرب مــن فمــه حتــى وان طــلاهُ بعســل قصــب الســكر ، والشــاعر بهــذا كلــه حــاول أن يحــط مــن مهجــوه برســم هــذه الصــورة الفكاهيــة المضــحكة التــي تقــوم علــى القــص التهكمــي الســاخر ، وقصــد أن يعبــر بأســلوب حضــاري يتماشــى مــع مــا تميــز بــه عصــر الشــاعر مــن رقــي حضــاري ، محــاولا أن يتجــاوز العواقــب ليعبــر عــن رفضــه واحتجاجــه بأســلوب فكــاهي عــن بعــض المواقــف التــي تصــدر مــن بعــض أفــراد المجتمــع ولاســيما موقــف المهجــو فــي رفضــه تقــديم المســاعدة ، ولاســيما أن الفكاهة في أحيانا كثيرة تقوم على أساس النقد ، وتتميز بالخروج عن المألوف .

ومــن العيــوب التــي عبــر عنهــا الشــاعر بطريقــة فكاهيــة البخــل ، فقيــل إن الشــاعر دخــل علــى عمــر بــن يزيــد الأســدي ، وكــان علــى شــرطة الحجــاج ، فكــان بخــيلاً ، وقــد دخــل عليــه الشــاعر ومعــه جماعــة مــن قومــه يســألونه حاجــة ، فــدخلوا إليــه وهــو يأكــل تمرا فلم يدعهم إليه ، ولم يقضِ حاجتهمُ ، فقال الشاعر فيه متهكماً[٢٦]:

جئنا وبين يديه التمرُ في طبقٍ فما دعانا أبو حَفص ولا كادا
عـلا علـى جسمه ثوبان من دنسٍ لـؤمُ وجُـبْنُ ولـولا أ ....مسادا

فاستطاع الشاعر بأسلوب سلس ، يسير ، وألفاظ بسيطه ، أن يرسم مشهد نفسية البخيل ، فيظهر لنا كيف يمنعه بخله من دعوة الضيوف إلى مشاركته فيما يأكل ، والشاعر بهذا يجرد المهجو بصورة مضحكة من صفة الكرم التي يتميز بها العربي، ثم انه يلبس المهجو ثوبين ثوب ميزه بصفة اللؤم ، وثوب ميزه بصفة الجبن وهو بهذا انتزع منه صفة الشجاعة .

ومن الحالات النفسية التي عبر عنها الشاعر بصورة فكاهيه ممزوجة بالتهكم والهجاء ن حالة التدخل في شؤون الآخرين ، ولاسيما أن الفكاهة " **لا تهدف دائما للإضحاك فقط ، بل إنها تقوم بوظيفة النقد والدعوى إلى الإصلاح** "[٢٧] ، ومن ذلك قيل انه كان لعبد الملك بن بشر بن مروان كاتب يقال له محمد بن عُمَير وكان كلما مدح الشاعر عبد الملك وأمر له بجائزة ، عارضه فيها هذا الكاتب ، فدخل الشاعر يوماً على عبد الملك وكاتبُه عنده فوقف الشاعر قائلاً[٢٨] :

ليت الامير أطاعني فشفية من كل من يكفي ويلحن
متكور يحثو الكلام كأنما باتت مناخرة بدهن تعرن
وبني لهم سجنا فكنت أميرهم زمنا فأضرب من أشاء وأسجن
ألقيتَ نفسَك في عَروض مَشَقَّة ولحصد أنفك بالَمناجِل أهونُ
أنت أمرؤ في أرض أمك فلفل جم وفلفلنا هناك الدندن
فبحق أمِك وهي منك حقيقة بالبر واللَّطفِ الذي لا يُحزَنُ
لا تُدْنِ فاكَ إلى الأمير ونَحَهِ حتى يُداوي نَتْنَه لك أهونُ
إن كان للظَّربان جُحْرُ مُنْتنُ فلجحر أنفك يامحمد أنتن

...

أن انت تجعل كل يوم عفصة فتجيد ما عملت يداك وتحسن
أشبهت أمك غير باب واحد أن قد ختنت وأنها لا تختن
فلئن أصبت دراهما فدفنتها وفتنت فيها وابن آدم يفتن
فبما أراك وأنت غير درهم إذ ذاك تقصف في القيان وتزفن

فالشاعر يخاطب الكاتب محمدا بأسلوب فكاهي متهكما منه بأنه قد أدخل نفسه في أمر صعب لا يعنيه ، طالبا منه أن لا يدخل نفسه بما لا يخصه ، والابتعاد عن الأمير مستعملا في ذلك أسلوب النهي في قوله : لا تدن فاك ...، مشبها رائحته بصورة ساخرة تثير الضحك لدى السامعين ، إذ وصف أنفه بان له رائحة انتن من

رائحة جحر حيوان الظربان المعروف بالرائحة المنتنه . وقصد الشاعر بهذه الفكاهة النقد الممزوج بالتهكم للكاتب الذي اتصف بصفة التدخل بشؤون غيره وهي صفة مذمومة ، فضلا عن ذلك انه حرم الشاعر من عطاء الخليفة ، لذا استحق ذلك النقد من قبل الشاعر . ولم تقتصر فكاهة الشاعر وتهكمه وسخريته على الأباعد فحسب ، بل نجده يسخر ويتهكم من الأقارب أيضا ولاسيما اخو زوجه ، متناسيا قوة الرابطة بينهما ، فجعله أضحوكة بين الناس ، فأتى على صورته فمسخها ، وشوهها قائلاً فيه[٢٩] :

يارب خال لك مسود القفا لا يَشتكي من رجله مشيَّ الحفا
كأنَّ عَيْنَيْه أذا تَشَوَّفا عَينا غُرابٍ فوقَ نيقٍ أشرَفا

فالشاعر صوره عن طريق أبيات خاطب بها ابنه بأنه أسود القفا ، وقدمه حافية لم يلبسها نعلا وهو لا يشتكي من ذلك ، وشبه عينيه بعيني غراب واقف في قمة جبل . وكأن الشاعر في رسمه لهذه الصورة المضحكة الفكاهية أراد أن يعبر عن ضجره وحزنه من ابنه العاق بصورة غير مباشرة . ويستمر الشاعر باتخاذ الفكاهة والسخرية أسلوبا لنقد الآخرين ، ولا سيما النقد والتهكم الشخصي فنراه في أبيات أخرى يسخر ويستهزئ ويتهكم من زوجه قائلا[٣٠]:

اعاذلتي من لومٍ دعاني أقلاً اللوم إن لم تَعْذِر اني
فإني قد دُللتُ على عجوز مُبَرقعة مخضَّبة البنانِ
تَغَضَّن جلدُها وأخضرّ إلا اذا ما ضُرّجتْ بالزعفرانِ
فلما أن دخلت وحادثتني أظلَّتني بيومٍ أرْوَنانِ
تُحدّثني عن الأزمان حتى سمعتُ نداءَ حُرٍ بالأذانِ
فقالت قد نَكَحْتُ اثنين شتّى فلما صاحَباني طلّقاني
وأربعةً نكحتُهم فماتوا فليت عَريف حَيّ قد نعاني
وقالت ما تلادُك قلت مالي حمار ظالعْ ومَزادتانِ
وبْوريٌّ وأربعةُ زُيُوف وثَوبا مَفْلسٍ مُتَخَرقان
وقطعةُ جُلَّة لا تَمرَ فيها ودَنَّا عومةٍ مُتَقابلانِ
فقالت قد رَضيتُ فسَمِ ألفاً ليسمع ما تقولُ الشَّاهدانِ
وما لكِ عندنا ألفُ عَتيد ولا تِسعُ تُعَدّ ولا ثَمانِ
ولا سَبعُ ولا سِتُ ولكن لكم عندي الطويلُ من الهوانِ

فقد رسم صورة مضحكة تضحك الناس من هذه المرأة مستعملا فيها الوصف التفصيلي ولاسيما في البيتين الثاني والثالث حين وصفها بأنها عجوز مبرقعة قد

خفت وجهها ، مخضبة البنان ، ثم انه يشير في البيت الثالث إلى أحدى علامات كبر عمرها فجلدها وضحت فيه التجاعيد ، فهو يتهكم بالقبيح في كل شيء يخص هذه المرأة ،ولم يكتف بذلك بل اخذ يصوغ فكاهيته وتهكمه في شكل حوار بينه وبين زوجه مبينا ما كان يعانيه في ذلك اليوم الذي وصفه بأنه صعب ، ثم اخذ يسترسل في حواره مع زوجه واصفا بشكل تفضيلي كل ما يمتلكه في بيته ، وكأنه يريد أن يوصل لتلك المرأة صورة عن فقر حاله لعله بذلك يتلخص منها ، ولكنها في نهاية حوارها لم تقل له الإ (لكم عندي الطويل من الهوان) ، فهو لم يتخلص منها فما كان عندها إلا الطاعة لهذا الزوج الفقير . على الرغم من انه في ذلك كله يتهكم بتلك المرة برسم لوحة مضحكة بريش رسام متقن في عمله إذ بلغ فيه القمة .

وقد ترد الفكاهة على شكل قصة قصيرة موجزة ساخرة ، تقوم على أساس تعدد الشخصيات داخل النص الشعري وتبادل الحوار بين تلك الشخصيات ، ويمكن ملاحظة هذه البراعة والإتقان لفن الفكاهة لدى الشاعر في قصيدة يمدح فيها أبا طلحة ، ابتدأها الشاعر باستجداء عطاء أبي طلحة ، وقد رسم صورة فكاهية مضحكة لثروته ، وقال فيها[٣١] :

يا أبا طلحة الجواد أغثتني بسجال من سبيك المقسوم
أحي نفسي فدَتك نفسي فإني مفلسُ قد عَلِمْتَ ذاك عَدِيم
أو تطوَّعُ لنا بسَلْفٍ دقيق أجرُه إن فعلتَ ذاك عظِيمْ
قد علمتْم . فلا تَعَامسُ عنَّي . ما قضىَ الله في طعامِ اليتيمْ

....

فهو يطلب من الممدوح أن يحيي نفسه بعطائه ، ولو كان جرابا من دقيق ، طالباً منه أن لا يتغافل ويتعامى عنه فهو يرى أن أكرامه واجب فقد أمر الله باطعام اليتيم والمسكين في قوله تعالى ((وَيُطْعِمُون الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيماً وَأَسِيراً))[٣٢] ، ويستمر الشاعر برسم الصورة فيقول :

ليس لي غيرُ جرَّةٍ وأصيصٍ وكتابٍ منمنم كالوُشُوم
وكساءٍ أبْيعُه برغيفٍ قد رقعْنا خُروقه بأديم
وإكافٍ أعارَنيه نشيطُ هُو لحافٌ لكلِّ ضيفٍ كريمْ

...

كل بيت عليه نصفُ رغيف ذاك قسمُ عليهمُ معلومْ
فرّ منه موليّا فأرُ بيتى ولقد كان ساكناً ما يَريمْ
قلتُ : هذا صومُ النصارى فحُلوا لا تُليحُوا شيوخكم في السَّمومْ

ضـــحكَ الفـــأرُ ثـــم قلـــنْ جميعـــاً أهـــو الحـــقُّ كـــلُّ يـــومٍ تصُـــومْ

أستطاع الشاعر بما تقدم من أبيات أن يصف بيته بصورة مضحكة مستعملا أسلوب الحوار مع الحيوان في وصفه ، فأخذ يحاور الفأر حوارا مضحكا ينصحه فيه بأن يفارق بيته حتى لا يموت جوعا لأنه لا يملك شيئا يأكله فهو صائم صيام النصارى ، ولكن هذه الفئران ضحكت من الشاعر وقالت له : : أنك دائما صائم .

ويستمر الشاعر بفكاهته في رسم الصورة المضحكة لفقره وإفلاسه فيقول :

قلـــت : إن البـــراء قـــد قـــامَ فـــي الـــــناسِ بـــإذنٍ وانـــتَ فينـــا ذمـــيمْ
حملـــوا زادهـــم علـــى خنفســـات وقـــراد مخـــيس مزمُـــومْ
وإذا ضـــفدعُ عليـــه إكـــاف علمـــوه بعـــد النفـــار الرســـيمْ
حطمـــوا أنفـــه بقطعـــة حبـــل يـــا لقـــومي لأنفـــه المخطُـــومْ

فهذه الفئران استدعت للرحيل من بيته الفقير ، فحملت زادها على طائفة من الحشرات بعد أن وضعت على ظهور بعضها الأكف وحطمت أنافها بالأزمة .

ويستمر الشاعر برسم لوحته المضحكة فيقول :

نصُـــبوا منجنـــيقهم حـــولَ بيتـــي يـــا لقـــومي لبيتَـــي المهـــدومْ
وإذا فـــي الغبـــاء ســـمٌّ بُـــرَيص قـــائمُ فـــوقَ بيتنـــا يقـــدومْ

فهذه الفئران والحشرات قررت إلا تفارق بيته حتى تهدمه ، فنصبت منجنيقها حوله ، وراحت تهدمه ، والصورة المضحكة أن الغبار بعد أن انجلى كشف عن أنواع أخرى من الحشرات كانت تعمل على هدم بيته ، فإذا بالشاعر قد أجرى حواره معها بعد أن علم أنها كانت مختبئة في الموضع الذي كان يجفف فيه التمر ، قائلا:

قلـــتُ : بيـــتُ الجـــرينِ مجمـــعُ صـــدق كـــان قـــدماً لجمعكـــم معلـــومْ
قلـــن : لـــولا ســـنورتاهُ احتفرنـــا مســـكناً تحـــتَ تمـــرهِ المركـــومْ
إن تُـــلاق ســـنورَتَاهُ فضـــاءً تـــذرانا وجمْعُنـــا كـــالهزيمْ

فالحشرات تعلن للشاعر أنها ما كانت لتغادر هذا المكان لولا هاتان السنورتان اللتان كانتا تقيمان بها . ولم يكتف الشاعر برسم الصورة الفكاهية تلك بحواره مع ما تقدم من الحشرات ، بلب نراه جرى حوارا مع العنكبوت الذي عشش في قعر دنّه الفارغ الذي تمنى الشاعر لو كان ملآن حتى يبصره سابحا فيه يعاني سكرات الغرق من دون أن يجد شيئا يتعلق به سوى الزبَد المركوم فوق رأسه والذباب الذي يطيف به ، فيخرج العنكبوت إليه كفه مستغيثاً به ، لكن الذباب يجيبه بأنه لا يطيق الدنو من هذا النبيذ الفاسد الذي تفوح رائحته حتى ليشمه المزكوم قائلاً :

عشــشَ العنكبــوت فــي قعــر دنــى إن ذا مــن رَزِيتــي لعظــيم
ليتنــي قــد غمــرت تــدنى حتــى أبصــرَ العنكبــوتَ فيــه يعــوم
غرقــاً لا يغيثــه الــدهرَ إلا زبــدُ فــوقَ رأسِــه مركــوم
مخرجــا كفــه ينــادي ذبابــا أن أغثينــي رأســه مركــوم
قــال ذرنــي فلــن أطيــق دنــوا مــن نبيــذ يشــمه المزكــوم

فالشــاعر فــي كــل مــا تقــدم اســتطاع أن يرســم لوحــة مضــحكة متعــددة الصــور ، مســتعملا عناصــر الفكاهــة والإضــحاك فــي نصــه الشــعري ، مســتخرجا الضــحك مــن أفــواه ممدوحــه والســامعين ، عبــر أدواتــه التــي اســتعملها فــي الــنص وقدرتــه فــي تــأليف حوار مع الحشرات " **التــي مــلأ بهــا أبياتــه ، ومــا خلعــه عليهــا مــن صــفات بشــرية ، حــين جعلهــا كائنــات ناطقــة مفكــرة مــدبرة لأمورهــا ، تناقشــه وتحــاوره ، وتشــد رحالهــا عــن بيتــه ، وتضــرب حولــه حصــارا بجيوشــها الجــرارة ، ثــم عــن طريــق هــذه الصــورة المضــحكة التــي رســمها لنفســه وهــو يعــيش بــين هــذه الحشــرات التــي تــرفض أن تعــيش معــه**"[٣٣]، فالشــاعر رســم صــورة فكاهيــة رســماً مقنعــاً ، منســجمة مــع شخصــية الشــاعر وظروفهــا وتصــرفاتها النفســية الداخليــة ، ومتوافقــة مــع تصــرفاتها الخارجيــة، ثــم جــاءت تلــك الحشــرات لتكــون شخصــيات ثانويــة لتســاعد علــى رســم تلــك الصــورة الفكاهيــة التــي جــاءت بهــا كمــا ذكــرت علــى شــكل قصــة تقــوم علــى حــوار متبــادل بــين شخصــية الــنص الرئيســة الفقيــرة ، وتلــك الحشــرات التــي مثلــت الشخصــيات الثانويــة فــي نصــه ، فجــاءت حــوادث القصــة تتــوالى تواليــا منطقيــا وقــد وصــلت إلــى ذروة التقعيــد حينمــا رفضــت تلــك الحشــرات أن تغــادر بيــت الشــاعر إلا بعــد أن تهدمــه ، وإذْ بهــا فــي نهايــة المطــاف تهــتم البيــت لتكشــف لنــا صــورة أخــرى ، وحــوارا آخــر مــع شخصــيات جديــدة مــن الحشــرات تعــيش إلــى جانبهــا ، والشــاعر فــي كــل ذلــك قــد اســتعمل أســلوب طبيعــي بســيط ، مملــوء بالحيويــة والخفيــة والظرافــة ، لعــرض فكــرة تُعــد جديــدة فــي مجــال الأدب الفكــاهي فــي العصــر الأمــوي ، تتناســب والظــرف الــذي يعيشــه الشــاعر فتجربــة الشــاعر الاجتماعيــة فــي الحيــاة كانــت مصــدر لهــذه الفكــرة ، وغيرهــا مــن الأفكــار التــي عرضها بشكل قصية ظريفة أمام الممدوح ، بعاطفة صادقة ، وخيال خصب .

وممــا تقــدم يمكنــا القــول إن الحكــم بــن عبــدل الأســدي كــان شخصــية شــعرية انمــازت بالفكاهــة ، إذ اســتطاع أن يمثــل ذلــك التطــور الــذي عُــرف فــي العصــر الأمــوي، واقصــد بــذلك التطــور الــذي أصــاب الأغــراض الشــعرية ولاســيما تلــك التــي غلــب عليهــا ســمة الفكاهــة ، إذ أصــبحت مــن أهــم الموضــوعات التــي جســدتها الصــور الفنية الجديدة ذات الملامح الحضارية التي أثرت في هذا الموضوع خاصة .

نتائج البحث

١ – مثل الحكم بن عبدل الأسدي شخصية شعرية قصرت أكثر شعرها في الفكاهة والتهكم.

٢ – أستطاع الشاعر استعمال الفكاهة بطريقة تعبيرية مؤثرة ، تعبر عن مواقف وتجارب معينة

إزاء الحياة والإنسان ، محاولا فيها التوفيق بين جمالية النص من جهة ، وتأثير في المتلقي من جهة أخرى .

٣ – انماز أسلوبة الفكاهي بالبساطة والوضوح ، مستعملا صور التشبية البسيطة، فضلا عن صيغ التأكيد والتكرار في عدد من أبياته ، وتشكيل الصورة تشكيلا فنيا، فجاءت ألفاظه واضحة بعيدة عن الغريب، وأهم ما انماز به أسلوب الحوار الذي كان له اثر واضح في جمالية النص ومصداقية الحدث .

٤ – انمازت الفكاهة عنده بأنها جمعت بين فكاهة ونقد ، وبين فكاهة وتهكم وسخرية .

٥ – الفكاهة عنده سارت في اتجاهين : اتجاه شخصي عبر به حالة الفقر والعوز وما كان يعانيه هو والطبقات الفقيرة البائسة التي لم تخرج اهتماماتها في الحياة عن توفير لقمة العيش، وما يتصل بها من أمور بسيطة . فضلا عن التعبير عن سوء حظه ، وحاله العدم التي تلازمه ، ونقده لزوجه وولده . واتجاه عام عبر عن طريقة عن بعض المواقف والحالات في المجتمع .

٦ – كان للعوامل الاجتماعية والاقتصادية أثرها في ظهور أسلوب الفكاهة والتهكم لدى الشاعر فضلا عن أثرها في تطور هذا الأسلوب .

٧ – جاءت الفكاهة والتهكم عنده بشكلين شكل اتخذ أبياتا قليلة ، وشكل اتخذ قصائد طويلة.

التعليقات الختامية

[١] الفكاهة في الشعر الأموي :١.

[٢] ينظر : الأغاني :٢/ ٢٦٠ ،الموتلف والمختلف :٢٤٢ ، تهذيب ابن عساكر : ٤/ ٣٩٦ ، معجم الأدباء : ١٠/ ٢٢٨ ، فوات الوفيات :٢٨٧/١ ، العصر الأموي :١٢٢ ، معجم الشعراء المخضرمين والأمويين : ١١١.

[٣] ينظر : حياة الشعر في الكوفة : ٤٧٢ ، التطور والتجديد :١٢٢ .

[٤] معجم مقاييس اللغة : مادة (فكه) . ٤/ ٤٤٦.

[٥] ينظر : المخصص لابن سيدة : ١٣ / ١٩ ، وينظر : لسان العرب ، مادة (فكة) ، ١٦ : ٣٦ .

[٦] سورة الطور ،أية :١٨ .

[٧] ينظر : المخصص :١٣ / ١٩.

[٨] لسان العرب :،مادة (هكم) .

[٩] ثقافة الناقد الأدبي : ٣٣٣.
[١٠] ينظر : الفكاهة في الأدب العربي إلى نهاية القرن الثالث الهجري : ٣٤.
[١١] معجم مصطلحات الأدب :٢٢٥ .
[١٢] المصدر السابق : ٢٢٥ .
[١٣] ينظر : أدب الفكاهة الأندلسي :٥٧.
[١٤] ينظر : سيكولوجية الضحك : ١٣٢ -١٥٦.
[١٥] ينظر : الأدب الفكاهي : ٦٢ .
[١٦] ينظر : الأغاني : ٢/ ٤٠٤ ، المؤتلف والمختلف : ٢٤٢ ، تهذيب ابن عساكر : ٤/ ٣٩٦ ، معجم الأدباء : ١٠ / ٢٢٨ ، فوات الوفيات : ١/ ٢٨٧ .
[١٧] شعر الحكم بن عبدل :٩٩ .
[١٨] يحيي بن نوفل الحميري اليماني ، أبو معمر ، شاعر هجاء ،يكاد لا يمدح أحدا ، أصله من اليمن ، وشهرته في العراق ، كان في أيام الحجاج الثقفي ، وله أخبار مع بلال بن بردة . ينظر : الإعلام : ٢٢١/٩ .
[١٩] الأغاني :٣٦٠/٢.
[٢٠] شعر الحكم بن عبدل : ١١٧ ، يخب : من الخب وهو المشي السريع والبطيء .
[٢١] المصدر السابق :١٠٤ .
[٢٢] المصدر السابق :١١٨ ، التخامع : التظاهر بالعرج .
[٢٣] الأغاني : ٣٦٢/٢.
[٢٤] شعر الحكم بن عبدل : ١٠٤ -١٠٦ ، الجعر : نجو كل ذات مخلب من السباع ، العطين : الجلد المنتن من عطن الجلد يعطنه غذا وضعه في الدباغ وتركه حتى فسد وأنتن ، الشتيم : الأسد العابس ، أعصل الأنياب : معوجها ، الورد : الأحمر الضارب الى الصفرة ، القند : عسل قصب السكر غذا جمد .
[٢٥] الأدب الفكاهي : ٤٠.
[٢٦] شعر الحكم بن عبدل : ١٠٣ .
[٢٧] الفكاهة في الشعر العربي : ٥.
[٢٨] شعر الحكم بن عبدل ١١٥ -١١٦ ، العروض : الطريق في عرض الجبل في مضيق ، الظربان : دويبة كالهرة كثيرة الفسو منتنة .
[٢٩] المصدر السابق : ١١٠ ، النيق بالكسر : أرفع موضع في الجبل .
[٣٠] شعر الحكم بن عبدل : ١١٦ -١١٧ ، البرق : الخمار ، المخضبة : التي اتخذت الخضاب وهو الحناء وغيرها ، تغضن : التثني في الثوب والجلد ، ضرجت : لطخت ن يوم أروتان : يوم صعب ، التلاد : مايملكه الرجل من مال وغيره ، البوري : الحصير المنسوج من القصب ، أربعة زيوف : أربعة دراهم زائفة ، الجلة : قفة كبيرة للتمر ، العتيد : الحاضر المهيأ .
[٣١] شعر الحكم بن عبدل :١١٤ -١١٥ ، سجال : الدلو العظيمة اللملؤه ، سيبك : العطاء ، عديم : فقير ، تطوع :تبرع ، السلف : الجراب الضخم ، التعامس : التغافل والتعامي ، الأصيص : هو إناء كهيئة الجرة له عروتان وقد قطع رأسه ، الأديم : الجلد لم يدبغ ، الأكاف : البرذغة ، نشيط : علم من أعلام الناس ، ألاحه : أهلكه ، السموم : الريح الحارة ، البراء : أول الذي وضع علية الزمام ، الرسيم : ضرب من المشي ، المنجنيق : آله ترمى بها الحجارة ، الغباء : الغبار ، سم بريص ، هو سام أبرص ، ويعرف بالوزعة ، الجرين : موضع التمر المجفف ، سنورتاه : مثنى سنورة ، المركوم : المجموع ، غمرت : ملأت .
[٣٢] سورة الإنسان : ٨ .
[٣٣] حياة الشعر في الكوفة : ٤٧٣ -٤٧٤ .

المصادر والمراجع

ـ القرآن الكريم
ـ الأعلام ، خير الدين الزركلي ، دار الملايين ، بيروت ـ لبنان ، ط١٤ ، ١٩٩٩م
– الأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني (ت٣٥٦ هـ) ، دار الكتب المصرية الأولى ، طبعتها بولاق ، وطبعة مطبعة البولية ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٥٥ م .
– أدب الفكاهة الأندلسي ، لحسين يوسف خريوش ن أربد ، ١٩٨٢ .
– الأدب الفكاهي ، لعبد العزيز شرف ، مكتب لندن ، ١٩٩٢.
_ التطور والتجديد في الشعر الأموي، د . شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٨ ، د.ت
_ ثقافة الناقد الأدبي ، لـمحمد النويهي، مطبعة التأليف والترجمة والنشر ، دمشق ط١ ، ١٩٤٩م .
_ تهذيب ابن عساكر ، تصحيح عبد القادر افندي بدران ، روضة الشام ، ١٣٣٢هـ .
_ حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني الهجري ، دزيوسف خليف ، دار الكاتب للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٨م .
– سيكولوجية الضحك ، لحمد عطية الله ، دار أحياء الكتب العربية ، (د.ت) .
_ شعر الحكم بن عبدل ، محمد نايف الدليمي ، مجلة المورد ، المجلد٥ ، العدد ٤ ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٦ م .
_ العصر الأموي ، يوسف عطا الطريفي ، الأهلية للنشر والطباعة ، عمان ، ط٢ ، ٢٠٠٩م.
_الفكاهة في الأدب العربي إلى نهاية القرن الثالث الهجري ، لـمحمد معوق أبو عيسى ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ١٩٧٠م .
_ الفكاهة في الشعر العربي ، سراج الدين محمد ، دار الراتب الجامعية ، بيروت –لبنان ، (د. ت) .
_ فوات الوفيات ، لابن شاكر الكتبي ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ١٩٥١م.
_ لسان العرب ، لأبي الفضل جمال الدين بن منظور (ت ٧١١هـ) ، ت : نخبة من الأساتذة المختصين ، دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠٣م .
_المخصص ، لأبن سيدة ، بيروت ، المكتب التجاري للطباعة .

_ معجم الأدباء ، ياقوت الحموي ، محمد فريد رفاعي ، القاهرة ، ١٩٦٠م . _ معجم الشعراء المخضـرمين والأمـويين ، د. عزبـزة فـوال بـابتي ، دار صـادر ، بيـروت – لبنـان ، ط١ ، ١٩٩٨م .

_معجم مصطلحات الأدب ، لمجدي وهبه ، بيروت ، ١٩٧٤ .

_ معجم مقاييس اللغة ، لاحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) ، ت : عبد السلام هارون ، دار أحياء الكتب العلمية ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٧١هـ .

_المؤتلف والمختلف ، للآمدي ، تحقيق عبد الستار فراج ، القاهرة ، ١٩٦١ م.

Abstract

Al –Hakam Bin Abdal Al-Isadi was a poet who appeared at the last of Umayyad Age. His style was characterized by collecting humor cynicism.

The recent study , study 'Al- Isadi Between Humor and Cynicism 'sheds light on this poet,s character , and exposing his style of humor.